سنة ١٩٢٢

الاحوال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير — الجرائم السياسية ضد الانجليز — قانون وراثة العرش — قانون تصفية أملاك عباس — اشتغالى بالصحافة فى الليبرتيه — مساعدة المنكوبين بالحروب فى الاستانة — رحلتى فى سوريا وفلسطين — مطلوباتى من عباس

الاحوال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير : من أول هذا العام كان الناس ينتظرون حضور اللورد اللنبى المعتمد الأنجليزى فى مصر ، بعد أن برح إلى بلاده للتفاهم مع حكومته على اتباع سياسة جديدة ، وهى سياسة تصريح ٢٨ فبراير الذى أعلن بعد إيابه بالاتفاق مع عبد الخالق ثروت باشا ؛ وقد كان الاحتفال بقدومه كبيراً ، وازدحم الكثيرون فى فناء المحطة ، وعلى جانبى الطرق التى مرت مركبته بها ، وحيوه بالتصفيق .

الأغلبية والتصريح : وبعد إعلان التصريح قابلته قلة من الشعب بالترحيب أما الكثرة الساحقة ، فكانت فى حالة عصبية توحى إليها الحذر الشديد من السياسة الأنجليزية ، ولا سيما وقد مهد لهذا التصريح بنفى سعد باشا وزملائه ، فلم يكن من المستطاع إقناع هذه الكثرة بأن سياسة يمهد لها بنفى زعيم البلاد ، يكون فيها خير للأمة .



عبد الخالق ثروت باشا

موقف الصحف : وقد التزمت معظم الصحف المصرية جانب التحفظ في التعليق عليه ، ولكنها اتفقت على

أمر واحد ، وهو أن السياسة الجديدة ، لم تحقق لمصر كل آمالها ، وإنما هى خطوة فى سبيل تحقيق تلك الآمال .

الجاليات الأجنبية وسياسة التصريح : أما الجاليات الأجنبيـــة فى مصر فقد



اللورد اللنبى

تخوف بعضها من النص على أن انجلترا تحتفظ لنفسها بحق حماية الأجانب . وكان أشد هذه الجاليات تخوفاً هى الجالية الفرنسية ، التى قررت أن ترسل احتجاجاً إلى الموسيو جايار الوزير المفوض والوكيل السياسي لفرنسا فى مصر جاء فيه :

« إننا لو افترضنا أضيق ماتحتمله الصيغة الواردة بالتصريح من المعانى ، لما استطعنا أن نتصور أن المصالح الفرنسية — عامة كانت أو خاصة — يمكن الدفاع عنها أو (حمايتها) بواسطة حكومات أخرى غير الحكومة الفرنسية

« على أن مجرد قبول مثل هذا النظام نزول غير مقبول ، لاسيما وأن انتصارنا قريب العهد منا .

« وفوق هذا ومن جهة عملية محضة ، يسوغ لنا أن نتساءل عما تئول إليه مصالحنا إذا كانت متناقضة مع مصالح رعايا الدولة الحامية »

الأمراء والتصريح : وقد اهتم أصحاب السمو الأمراء ببحث الحالة الجديدة ، وموقف مصر السياسى بعدها ، وكانت آراؤهم متجهة إلى اعتبار هذا التصريح كسباً نظرياً فقط ، لم يغير شيئاً من الناحية العملية .

وقد كتبوا إلى عظمة السلطان فؤاد الأول كتاباً يشرحون فيه نظريتهم جاء فيه :

« إن بقاء الحالة الحاضرة مع وجود الجيوش البريطانية فى مصر مما يؤذى الاستقلال ، لأن هذه الأحوال لاتستوى هى ومبادىء الحرية الشخصية » .

وطلبوا إعلان استقلال مصر مع سودانها ، وسيادتها التامة فى الداخل والخارج وتأليف جمعية وطنية لمناقشة التصريح ، وتحضير مشروع الدستور ، وأن تجرى الانتخابات بكامل الحرية بعد إلغاء الأحكام العرفية ، وإعلان حرية الصحافة . والعفو عن المعتقلين السياسيين ، ودعوة المنفيين .

بدء تنفيذ التصريح : كان المنتظر أن يعرض التصريح على البرلمان البريطانى يوم يوم ٩ مارس ، ثم أجل إلى يوم ١٤ منه ، أما الحكومة المصرية فقد أخذت تنفذه فعلا من يوم إعلانه ، فعينت وكلاء مصريين للوزارات بدلا من الأنجليز ، ثم امتنع المستشار المالى من حضور جلسات مجلس الوزراء ، كما كان المتبع منذ بدء الاحتلال

وفى يوم ١٤ مارس وافق البرلمان الأنجليزى عليه واحتفلت الحكومة يوم ١٥ مارس بالاستقلال . أما الشعب فكان بعيداً عن الاشتراك مع الهيئات الرسمية ، بل

كان بعض الشباب يجتمعون ويهتفون للاستقلال التام ، فكان هتافهم هذا دليلا على عدم اقتناعهم بأن ماحصل هو الاستقلال الذى يطلبون .

رأى عباس فيه : قرأت حديثاً لعباس مع مراسل جريدة « بروجريه دى ليون » الفرنسية عن الحالة الجديدة، ومما جاء فيه :

« إننى لاأعير اللعب الذى لعبته وزارة لندن أدنى أهمية . يكفى أن يقرأ الانسان بأى شروط اعترفت تلك الوزارة باستقلال مصر ، ليفهم أنه لم يتغير شىء من عهد الضغط الذى تعيش فيه بلادى منذ إعلان الحماية »

وزاوة ثروت باشا والرأى العام : لم تكن الوزارة على العموم موضع ثقة الرأى العام ، وكانت لذلك لاتسمح للشعب بابداء آرائه ، حتى أن الأمير يوسف كمال ، دعا إلى اجتماع يعقد فى بيت السيد أبى بكر راتب باشا يوم ٢٤ مارس فتصدت الحكومة لهذا الاجتماع ومنعته ، فزاد ذلك في السخط عليها ، وعرضها لنقد كثير من العقلاء الذين كانوا على الحياد بينها وبين خصومها .

وقد زادت الحالة تعقداً حينما ألفت الحكومة لجنة لوضع الدستور ، دون أن تكون منتخبة من الشعب .

نعم إنها دعت جميع الهيئات إلى الاشتراك فيها ، ولكن لم يتقدم لها أحد من الوفديين وهم الكثرة الساحقة، ولا من الحزب الوطنى . وزاد ذلك هوة الخلاف بين الشعب والحكومة .

تأليف حزب الأحرار الدستوريين : لهذا فكر المنتمون إلى ثروت باشا وعدلى باشا ، فى تأليف حزب يناصر سياسة الوزارة ، وسمى «حزب الأحرار الدستوريين» وكان ذلك يوم ٣٠ اكتوبر ، وانضم إلى هذا الحزب كثير من مفكرى الأمة ، وأصحاب البيوت الكبيرة فيها .

وقد قوبل الحزب الجديد بالسخط الشديد، وأذاع الوفديون بياناً يتهمه فيه بالتخاذل وبشق وحدة الأمة ، وكانت أحاديث الانتقاد له تتداول فى كل مكان .

وفى مساء ١٦ نوفمبر وقع اعتداء بالرصاص على عضوين من رجال الحزب هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدى بك ، وكان المعتدون يظنون أن سيارتهما تحمل عدلى باشا رئيس الحزب .

وقد توفى العضوان متأثرين بجراحهما .

استقالة ثروت باشا وأسبابها : وفى يوم ٢٩ نوفمبر قدم ثروت باشا استقالته . وأحاطت بهذه الاستقالة عدة إشاعات عن أسبابها الحقيقية ، غير أنه من المؤكد أنه كان من بين هـــذه الأسباب ، دسائس خصومه فى السراى ، ومرماها أن له



محمد توفيق نسيم باشا

اتصالا بالخديو السابق ، لأن اسماعيل الرزنمجى باشا والده كان متزوجاً بأحدى جوارى عباس باشا الأول والد إلهامى باشا جد الخديو السابق من والدته ، وأنه ساعد وفد الحزب الوطنى على السفر إلى مؤتمر لوزان ليعمل فى مصلحة عباس .

وقد ألفت بعد ذلك وزارة نسيم باشا فقوبلت بالترحيب من الرأى العام وأصدر الوفد بيانا يعدد فيه مساوىء الوزارة السابقة ، ويفهم منه الرضاء عن الوزارة الجديدة، وإن لم يصرح بذلك .

الجرائم السياسية ضد الانجليز : وقعت فى هذا العام عدة جرائم سياسية ضد الانجليز نتيجة لتهيج الأعصاب الذى كانت الأمة معرضة له بين التقلبات السياسية ونفى الزعماء ، ومحاكمة بعضهم ، واعتقال فريق منهم .

وقد وقعت أولى هذه الجرائم يوم ٣٠ ابريل على اثنين من فرقة الطيران ، فجرحا جراحا بليغة ، وفر المعتدون قبل أن يتمكن البوليس من القبض عليهم .

وفى يوم ٢٤ مايو وقع اعتداء آخر على البكباشى كيف مساعد الحكمدار بالقاهرة .

وفى يوم ٢٩ يوليو اعتدى مجهولون على المستر توماس براون مدير قسم البساتين بوزارة الزراعة ونجله ومربيته الانجليزية وسائق المركبة التى كانت تقلهم .

وفى يوم ٢ ديسمبر أطلقت خمس رصاصات على مستر روبسون المدرس بمدرسة الحقوق .

والذى كان يلفت النظر فى كل هذه الجرائم انها وقعت فى شوارع مزدحمة بالسابلة ، وفى أوقات يكثر فيها المرور دون أن يقبض على الفاعلين .

قانون وراثة العرش : لما تولى السلطان فؤاد عرش مصر لم يكن له أولاد من الذكور ، وفى فبراير سنة ١٩٢٠ رزق عظمته نجله سمو الأمير فاروق (جلالة الملك) وقد أخبر اللورد اللنبى عظمته يوم ١٥ ابريل من السنة نفسها بأن الحكومة البريطانية تعترف بالأمير فاروق وبأعقابه من الذكور ، ورثة لعظمته .

وفى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ صدر مرسوم بوراثة العرش . ينص على ولاية العهد للأمير فاروق، وعلى حرمان عباس باشا الخديو السابق من ولاية الملك ، دون أبنائه وذريتهم .

قانون تصفية أملاك عباس : وفي منتصف شهر يوليو راجت أشاعات تتلخص فى أن الخديو السابق قد فرمن الاستانة إلى سويسرا ، وأنه يدس الدسائس هناك ضد مصر ، فصدر بتاريخ ٢٧ يوليو قانون باقرار ما قامت به السلطة العسكرية ، في ظل الأحكام العرفية من تصفية أملاك عباس ، وبحرمانه دخول الأراضى المصرية أو سماع أي دعوى قضائية منه بأى وسيلة ، أو مباشرته لأى عمل داخل الحدود المصرية شخصيا أو بالواسطة ، وإذا لم يتسلم ثمن ما يباع من أملاكه بواسطة لجنة التصفية بعد مضىعام من بيعها فان الثمن يصادر لخزانة الحكومة.

وقد أرسل عباس داخل ظروف لكثير من عظماء المصريين منشورا سريا يظهر فيه عدم اعترافه بقانون الوراثة ؛ ولا قانون التصفية ، وعزمه على العمل للاحتفاظ بحقوقه، ويدعوهم فيه لنصرته .

اشتغالى بالصحافة :

مقالات تثير اهتمام الدوائر العليا : منذ أواخر العام الماضى دخلت فى زمرة الصحفيين ، فبدأت أكتب مقالات في جريدة الليبرتيه عن عهد الأسرة العلوية المحمدية، وكانت تظهر كل يوم أربعاء فى صدر الجريدة ، وقد أخذت تلفت الأنظار فى الأوساط الأنجليزية وفى السراى .

وفى يوم ١٨ يناير سنة ١٩٢٢ قابلت موسيو ليون كاسترو صاحبها فأخبرنى أن قلم المطبوعات في الداخلية أرسل إليه إشارة تليفونية ليستدعيه ، وكان يظن أنهم سيخاطبونه فى الكف عن معارضة تشكيل الوزاة الجديدة بعد وزارة ثروت باشا .

السراى تخشى الدعاية لعباس : وفي يوم ٢٠ منه قابلته ، ففهمت منه أن سبب استدعائه هو مقالاتى التى أنشرها بجريدته ، وذلك أن السراى تخشى أن يكون الغرض عمل دعاية لعباس حينما أصل إلى الكلام عنه ، وقد طلبوا منه أن يخبرهم عما إذا كان فى مقالاتى الآتية شيء من هذا القبيل ، فقال لهم : « إنه يكتب مقالاته واحدةواحدة ، وأنا لاأعلم ماذا سيكتب بعد ذلك، ولكنى لاأظن أنه يقصد القيام بالدعاية لعباس »

عندئذ قلت لكاسترو : «إننى لاأقصد الكلام عن عباس فى مقالاتى هذه إلا

عرضاً، لأننى أنوى نشر كتاب خاص عن تاريخ آخر الخديويين » ثم أضفت : وإن عباساً له صفات طيبة وأخرى معيبة، وعلى كل حال أنا على الحيدة من جهته ، وإذا كنت قد خدمته هذه المدة الطويلة بنية صادقة ، فذلك دين على لوالده توفيق رأيت أن أفيه.

النهضة النسوية : وقد حدث أثناء اشتراكى في تحرير هذه الجريدة أن دعا صاحبها المحررين بها لحفلة عشاء برياسته ، ثم كانت حفلة ثانية برياستى . وكانت المجلة قد خصصت قسماً لشئون المرأة ، ومن بين ما كان ينشر فيه مقالات لكاتبات من بينهن سيدة باسم (حياة) تؤيد فيها حرية المرأة ونهضتها بأسلوب رشيق . ففى هذه الحفلة تحدثت عن النهضة النسوية الجديدة ، وأثنيت على هذه الكاتبة المجيدة ، وعلى زميلاتها ، وانتصرت لحرية المرأة ، وقد ردت على هذه الكاتبة رداً لطيفاً وذكرت فيه أن والدها يعرفنى ، ويعرف عنى أشياء كثيرة . .

انقطاعى عن التحرير : وأخيراً رأيت أن أنقطع عن التحرير في هذه الجريدة بعد كتابة خمس وثلاثين مقالة ، تجنباً للاحتكاك بالدوائر العليا التى كانت لاترتاح لنشر مقالاتى .

مساعدة المنكوبين بالحريق فى الاستانة : في يوم ٢١ يونيو سافرت إلى الاستانة لقضاء فصل الصيف بها . وفى يوم ١١ أغسطس قابلنى الحاج حسين مانع زاده أحد التجار المشهورين وأخبرنى أنه حدث حريق كبير فى بعض احياء الاستانة، وقد تشكلت لجنة برعاية السلطان ، ورياسة توفيق باشا الصدر الأعظم لمساعدة المنكوبين، وستقوم ببناء منازل للفقراء الذين أصابهم الحريق فدمر بيوتهم ، وأن السلطان قال بوجوب وجود عضوين فى اللجنة من غير الأتراك وأنه (أى مانع زاده) قال فى الاجتماع انه يعرفنى عندما حضر لمصر، وكنت أنا مديرا للأوقاف،وأثنى على: فقررت اللجنة سؤالى عما إذا كنت أقبل الدخول حتى أروج اكتتاب المصريين لاعانة فقراء المنكوبين بالحريق ، فقلت: « يلزم سؤال الانجليز عن رأيهم في الموضوع ، فاذا لم يجدوا مانعا يسألون عن رأيهم فى دخولى عضوا فى اللجنة، حتى لايظنوا أننى أتداخل فى مسائل سياسية » .

وبعد بضعة أيام قال : إنه تقرر استدعائى عند الصدر لمباحثتى فى المسألة

وفي يوم ١٦ منه وردت إلى دعوة لمقابلته يوم ١٩ ، ولما قابلته بالصدارة

قال لى: «ان لجنة الحريق أمكنها باعانات مالية من الجمهور أن تبنى بيتين كبيرين يحتويان على مساكن متعددة، وانها شرعت فى بناء بيت ثالث، والايجارات التى تأتى من هذه البيوت تنفق فى بناء بيوت للفقراء المنكوبين بالحريق؛ وستشرع في فى طبع تذاكر بفئات مختلفة لعرضها على المحسنين من المسلمين أتراكا وعربا، ومن شتى الأجناس للمساعدة على بناء البيوت المذكورة، فهل يتيسر تنظيم هيئة فى مصر لهذا الغرض؟».

قلت: «إن الذى يتولى الآن جمع الأموال لمساعدة الأناضول هو الأمير عمر طوسون». قال: «وهل يمكنك أن تكاتبه فى هذا الصدد لمعرفة عدد التذاكر التى يمكن توزيعها ومقدار قيمتها؟». قلت: «انى على وشك السفر إلى مصر والأحسن أن أكلمه شفهيا فى الموضوع. ولكنى يادولة الصدر أجهل تفاصيل غرض اللجنة؟ فهل لها لائحة لأطلع عليها، وهل توجد خريطة تبين الأماكن المحترقة واحصاء عن عدد البيوت ومساحاتها، والتى منها للفقراء، وما هى المعلومات عن طريقة بنائها؟».

فقال: «إنه سيطلب من اللجنة هذه الايضاحات؛ والفكرة السائدة هى أن تقسم الأرض إلى جملة أقسام، وتستدعى شركات البناء وتعطى كل شركة قسما» قلت: «وهل الشركات، تقبل مشترى الاراضى وبناءها وتأجيرها وهى محكورة؟» ولفت نظره إلى هذه النقطة وأن اللازم استبدال أحكارها أولا. ثم استأذنت منه على أن أكون تحت أمره في أى وقت؛ فأجاب بأنه لا يستطيع أن يقدم لى كل المعلومات التى طلبتها، وأخيرا جاءنى منه مندوب. وترك لى في المنزل خريطة استامبول، والأراضى المحترقة ملونة بالأحمر، وعليها معلومات عن عدد المبانى المحترقة، وهى ١٠ آلاف منزل

وفي يوم ٢ سبتمبر زرت الصدر مودعا، وتحادثنا فى موضوع إعانة المنكوبين ثم قدمت له الاقتراح الآتى:

قلت: «علمت من سليمان أفندى البستانى أن جلالة الملك فؤاد أرسل لكم بواسطته تحياته، وانكم كلفتموه أن يبلغه شكركم، وبما أن العلاقات ودية بينكم وبين جلالته فربما يكون من الموافق كتابة خطاب ودى غير رسمى بهذه المناسبة ومن ضمنه استعطاف جلالته لمساعدة هذا المشروع» فوافق على الفكرة. ولكن قال: «حيث اننا لم نعقد الصلح مع الحلفاء، فالأصوب تبليغ جلالته شفهيا من قبلى»

قلت : « وانني لا أخفى عليكم ان الأزمة المالية لم تزل موجودة فى مصر خصوصا لانخفاض ثمن القطن ، فالمصريون معذورون الآن ، ومع كل فانني سأقوم بالمأمورية في السراى وعند الأمير عمر طوسون »

وفي يوم ٥ سبتمبر غادرت الاستانة عائداً، فوصلت الاسكندرية يوم ١٠ منه . وتوجهت مباشرة إلى سراى رأس التين ومعى الخريطة السابقة الذكر . فكتبت اسمى فى سجل التشريفات، ثم قابلت حسن نشأت بك (باشا) أحد كبار رجال الديوان وسلمته الخريطة ، وبلغته ما كلفنى الصدر ، فتسلمها وأخذ عنوانى .

ثم قابلت الأمير عمر طوسن وأخبرته بالمهمة فقال : « إنه تقرر عدم ارسال نقود الاستانة لأن حكومتها ضد الكماليين ، وأن كل ما يجمع من النقود يرسل إلى الأناضول » وبذلك انتهت المسألة .

رحلتى فى سوريا وفلسطين :

إعجابى بالتعليم فى الجامعة الأمريكية ببيروت : سألت كثيراً ممن لهم وقوف على الجامعة الأمريكية في بيروت ، فوجدت أنهم مجمعون على القول بأنها تفضل مدارس مصر فى التعليم والتربية ، وعلمت من أحد أصحاب المقطم أن المسلمين لهم معلم للديانة السمحة ، واليهود والنصارى لهم معلمون في دياناتهم ، وأنه سيحضر عن قريب مندوب من الجامعه ، لمرافقة التلاميذ الذين سيذهبون اليها للدراسة ، لهذا صممت على انتظاره، وأخذ المعلومات منه، ثم السفر بولدى احمد وراشد اليها .

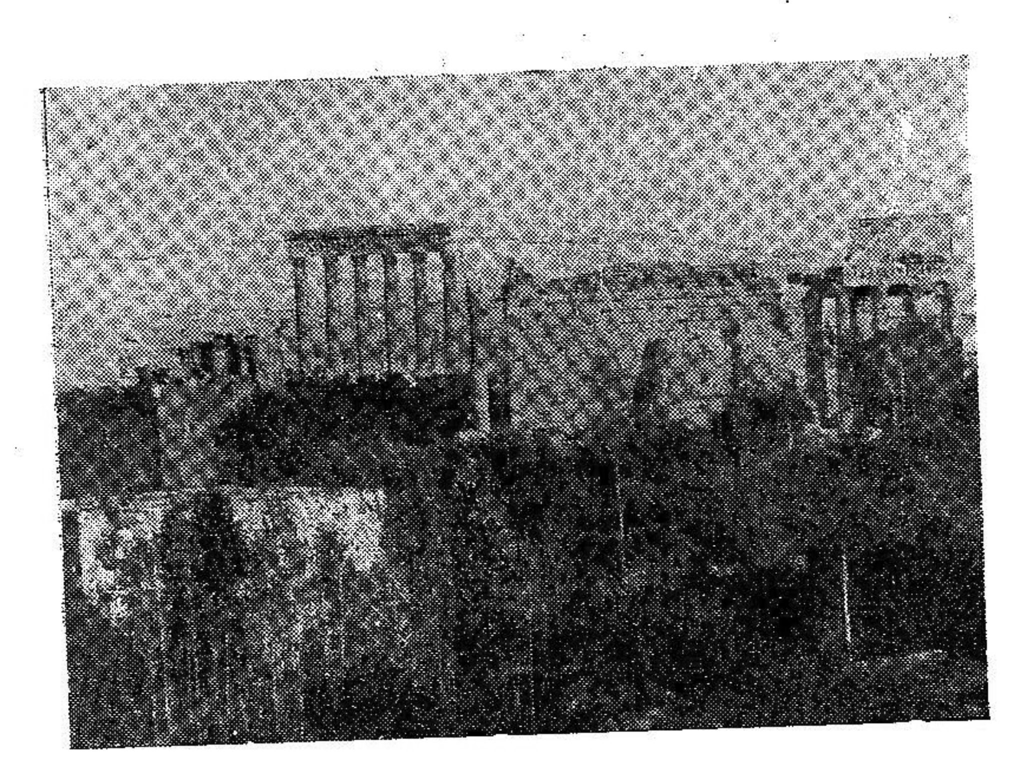
وفى يوم ١٣ اكتوبر — وكنت قد حصلت على المعلومات المطلوبة — سافرت معهما ، فوصلنا إلى الحدود المصرية يوم ١٤ منه ، وفى اليوم التالى وصلنا إلى بيروت فذهبنا للكلية ، وهناك قابلنا الأستاذ حامد ثابت مدير قسم الأولاد الصغار ، فسلمته الولدين ، ودفعت نصف المصروفات السنوية لهما، وهى مائتان وثمانية جنيهات سورية

وقد علمت أن من أخص الصفات التى تعنى الكلية بغرسها في نفوس طلابها ، الاعتماد على النفس ، فالطالب هو الذى ينظم غرفته بنفسه ، كما أن الطلبة الفقراء يشتغلون بالخدمة فى الكلية نفسها مقابل إعفائهم من المصروفات .

رحلتى فى بعض البلاد : وفى يوم ١٧ اكتوبر اتفقت مع شركة مصايف لبنان على القيام برحلة لبعلبك ودمشق، فركبت السيارة وصعدت الجبل ، ومررت على عاليه وبحمدون وصوفر؛ ثم نزلنا إلى شتوره ، وتغديت عند صاحبي القديم سليم افندى

بولاد، وله هناك أراض واسعة، ومعمل نبيذ وسط كروم كثيرة .

ومن هناك ذهبنا إلى بعلبك فزرت والدة الشاعر الكبير خليل بك مطران ، فأعجبت بثقافتها وحسن إدارتها لشئون العائلة .



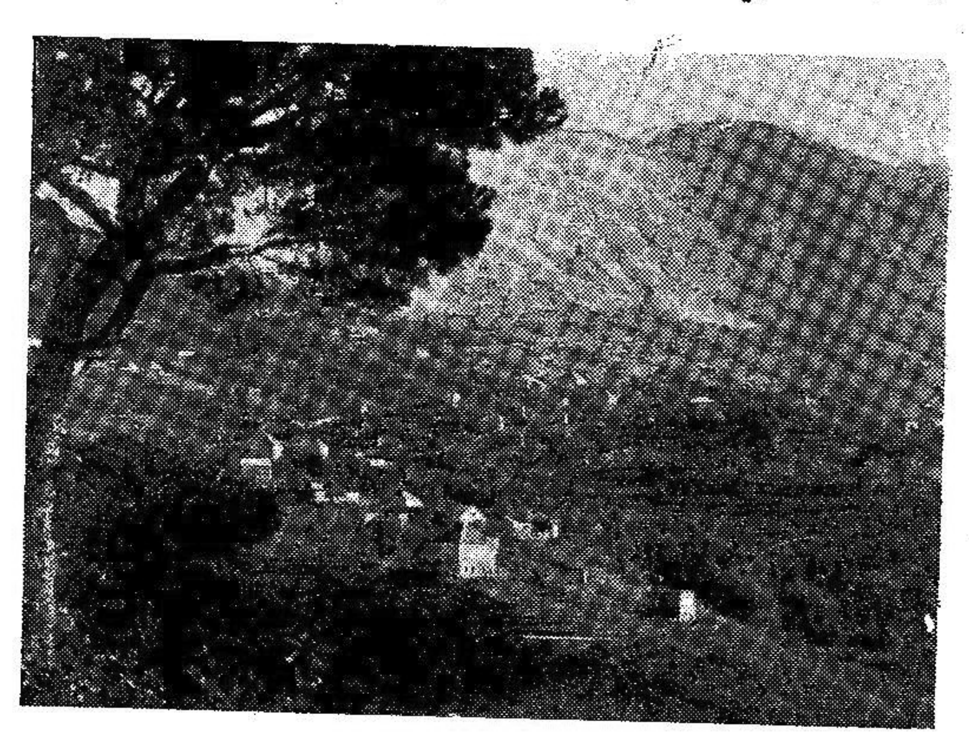
معبد بعلبك

ثم شاهدت معبد بعلبك ، وهو معبد رومانى قديم مبنى بأحجار ضخمة يبلغ طولها ١٩ مترا وعرضها أربعة أمتار وارتفاعها ثلاثة . ومنها أعمدة قطرها ثمانية أمتار .

وبعد ذلك قمنا إلى دمشق ، والطريق يشبه فى بعض جهاته بلاد السويسرة صخوراً ووديانا وأشجارا .. وقد قابلنى على المحطة وكيل محمد على العابد بك لغيابه فى حلب فركبنا مركبة ونزلت بفندق فيكتوريا فى ضيافة حرمه ، وقد حضرت لزيارتى ؛ ثم أرسلت مركبتها فذهبت بها لزيارة حقى بك العظم الحاكم العام الذى أرسل معى مدير الأوقاف لمشاهدة المعاهد الدينية والمساجد ، وقد زرنا الجامع الأموى وبيت أسعد باشا العظم الأثرى الذى اشتراه الفرنسيون بستين ألف جنيه سورى ، وفيه قاعات عربية جميلة ، وشاهدنا دار الأيتام وفيها ١٥٠ بنتاً وهى متسعة ونظيفة ، والحكومة هى التى تنفق عليها مع دار أخرى للأولاد؛ وأخيراً زرت معمل تلسان لشغل الخشب المنزّل بالسن والصدف ، وبين الصناع كثيرون من اليهود والأرمن

أما المسلمون فقد لاحظت أن ليس لهم نصيب كبير فى الصناعات على العموم .

وقد رددت الزيارة لحرم العابد بك ؛ ثم غادرت المدينة إلى المعلقة وزحلة



ظهور الشوير

فظهور الشوير على ارتفاع ١٦٠٠ متر تقريباً ، ثم نزلت إلى بورمانة حيث المنظر جميل بين أشجار الصنوبر ورائحته ، وعدنا إلى بيروت .

وفى صباح ٢٥ سافرت بالسيارة إلى حيفا ومنها إلى القدس ، فزرت حاكمها موسيو « ستورس » وكان من قبل فى مصر سكرتيراً شرقياً لكرومر ، ثم زرت منزل المفتى الحاج أمين الحسينى .

وفى اليوم التالى حضر شيخ الحرم بناء على أمر المفتى لمرافقتى فى الزيارات ، فزرنا الحرم وقبته مزينة بالفسيفساء الفاخرة الدقيقة ، وهى قائمة على اثنى عشر عموداً ، وأربع اسطوانات ، والصخرة المقدسة في الأسفل؛ ثم تفرجنا على قبة تسمى محكمة داود ، وهى صغيرة ومصنوعة من القيشانى . ومحمولة على ثمانية عشر عموداً على نظام القبة الكبيرة

ثم توجهنا الى المسجد الأقصى ورأينا المحراب العظيم الذى بناه صلاح الدين الأيوبى، وبجانبه منبر على طراز عربى متقن ، وصانعه «حميد بن ظافر الحلبى» ثم صلينا فى جامع سيدنا عمر ، ثم خرجنا ونزلنا الى المسجد الأقصى القديم ، ومنه الى محل

سرير عيسى . فاصطبل سليمان ذى الحجارة الضخمة ، ثم خرجنا فرأينا باب التوبة وباب الرحمة ، وهما عظيمان معلقان منذ القدم ، وعلى جانبهما كرسى سليمان (للحكم) وخرجنا من الحرم الشريف ودخلنا الصلاحية (المدرسة) وفيها كنيسة، ويقال: إن فيها قبر حنا والدة مريم، وهى صغيرة ، ويشاع أن سيدنا عيسى كان يبرىء الأبرص بادخاله فى مياهها، وهذه المدرسة كانت فى مدة الحرب كلية لتخريج المبشرين المسلمين من كل أطراف العالم الاسلامى ، وكان يديرها الشيخ عبد العزيز جاويش ، وكان فيها أساتذة أفاضل ، ولكن بعد الحرب أقفلت وسلمت الى جماعة من الفرنسويين .

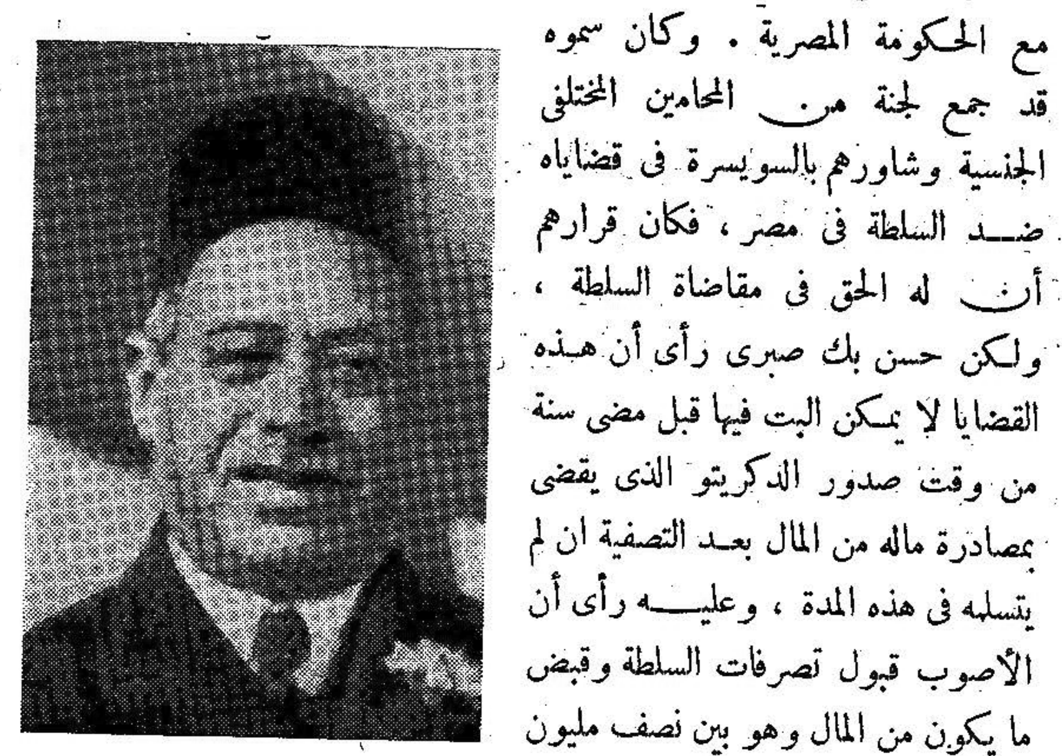
ثم توجهنا الى مدرسة روض المعارف . ويديرها شيخ يظهر على وجهه الذكاء والنشاط، وشاهدنا التدريس في الفصول والمطبخ؛ وأعطونى أجزاء من مجلة يصدرونها اسمها . وأخيراً توجهنا الى كنيسة القيامة وزرنا قبر المسيح والأماكن الدينية التى داخل الكنيسة التابعة لأقوام مختلفة ، وهى على جانب عظيم من الفخامة، وبعد الغداء رجعنا الى هذه الكنيسة ، وتفرجنا على الآثار القديمة والهدايا النفيسة والمجوهرات الثمينة وكتب الانجيل التسعة المزخرفة ومن بين مارأينا صورة لمريم فى أطار زجاجى مطرزة بالجواهر الكريمة، ومنها لؤلؤة على الجبهة ثمينة ، ويقال: إن قيمة المجوهرات في هذه الكنيسة تبلغ ٨ ملايين من الجنيهات وكثير منها لطائفة الروم الارثوذكس التى لها نفوذ عظيم وعقارات كثيرة فى القدس، أما مفتاح كنيسة القيامة فهو في يد عائلة اسلامية من قديم الزمان ، لمنع الاختلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة .

وبعدذلك ركبنا سيارة ، وتوجهنا الى مدينة الخليل، ورأيت فى الحرم الابراهيمى من الخارج قطعاً كبيرة من الحجارة ، وقيل لى : إن سيدنا سليمان هو الذى بنى هذا لمسجد. ولكنى لاحظت أن حجارته صلبة جداً ، ولا أظن أنه من بناء زمان سليمان — وفى هذا الحرم قبر سيدنا ابراهيم الخليل وقبر زوجته سارة . ثم قبور اسحق وزوجته رفقة ، ويعقوب وزوجته لائقة، ويوسف، وبه الغار الشريف ويتدلى فيه قنديل لأنارته، وله فوهة، يجلس عليها شيخ، فيكشف هذا الغطاء عن الفوهة ليرى الزائر عمق الغار .

ومن مدينة الخليل توجهنا بالسيارة الى بيت لحم، وتفرجنا على كنيسة المهد، وزرنا موضع مولد المسيح ، وموضع النخلة التى أمر الله سيدتنا مريم أن تهزها فيتساقط منها الرطب ، وهو لا يبعد عن محل الولادة الا بخمسة أمتار تقريباً ، ومسقوف

الآن ببناء؛ ومدينة بيت لحم بيوتها صغيرة مبنية بالحجر ونظيفة ؛ وحاراتها ضيقة إلا أن أمام الكنيسة ميداناً متسعا . وبعد هذه الزيارة رجعنا الى القدس وشكرت المفتى على حفاوته ثم عدت لمصر .

مطلوباتى من عباس : فى يوم ٥ نوفمبر علمت من محمد شفيق باشا أن عباساً وكل حسن بك صبرى المحامى (باشا) فى تصفية أملاكه مع الحكومة المصرية . وكان سموه قد جمع لجنة من المحامين المختلفى الجنسية وشاورهم بالسويسرة فى قضاياه ضد السلطة فى مصر ، فكان قرارهم أن له الحق فى مقاضاة السلطة ، ولكن حسن بك صبرى رأى أن هذه القضايا لا يمكن البت فيها قبل مضى سنة من وقت صدور الدكريتو الذى يقضى بمصادرة ماله من المال بعد التصفية ان لم يتسلمه فى هذه المدة ، وعليه رأى أن الأصوب قبول تصرفات السلطة وقبض ما يكون من المال وهو بين نصف مليون وستمائة ألف جنيه ، فيشترى به أراضى فى الأناضول فيعوض، ماخسره فى مصر . فقبل هذا الرأى، ووكله فى تنفيذه .



حسن بك صبرى (باشا)

فلما علمت بذلك عزمت على أن أقابله ، وأتكلم فى موضوع مطلوباتى من الخديو .

وفى يوم ٧ قابلته، وعلمت منه أنه سبق أن دار كلام بينه وبين الخديو فى أوربا فى موضوع مطلوباتى ، وأن سموه يظن بأننى رفعت دعوى ضده ، وأنه قال: « أما مطلوب شفيق من النقود فسيرد لكن ما معنى هذه الدعوى؟ » ولما علم صبرى بك بأن هذه الدعوى لاتوجد الا فى مخيلته ، قال : الحمد لله . وأخبرته بملخص حكاية هذه المطلوبات ، فقال : « ان المبلغ لا يستحق التردد فى دفعه» وطلب منى أن أسلمه مذكرة به، ووعد أن يتوسل الى الخديو لدفعه، فشكرته ووعدته بعمل المذكرة .

وفى يوم ١٠ اجتمعت بالدكتور سيد كامل وتكلمت معه فى المسألة ،فرأى معى أن لا بأس من تحرير مذكرة فحررناها كما يأتى :

« حدائق القبة فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ »

« حضرة صاحب العزة الأستاذ الفاضل حسن بك صبرى »

« بعدالتحية والاحترام، فاتحتكم منذ ثلاثة الأيام فى موضوع مطلوباتى من الجناب العالى، وقد دهشت عندما علمت أن سموه لا يزال ظاناً بانى مخاصمه أمام المحاكم وهذا بخلاف الواقع كما أخبرتكم، وقد سبق لى أن استعطفت سموه لصرف هذه المطلوبات، ولكن مظنة وجود دعوى هى وحدها كانت دائماً السبب فى تأخير صرفها. والآن اشهدكم أنه ليس لى فى أى جهة من جهات القضاء هنا أو فى الاستانة أو فى أوروبا أثر لأية دعوى خاصة بهذه المطلوبات، وعليه أرجوكم أن تعرضوا على أعتاب سموه رجائى فى أن يتفضل فيأمر بصرف حقوقى التى أنا فى أشد الحاجة إليها.

«وانى أتخذ بجوار وساطتكم القيمة، السنين الطويلة من عمرى التى قضيتها فى خدمة سموه بكل صدق واخلاص، شفيعاً فى قبول الطلب الذى أرجو أن تكون الاجابة عليه فى القريب العاجل.

«أما مطلوباتى فهى : أولا ٢٦٣٣ جنيهاً مصرياً قيمة ما أخذ من نقود المسيو حمصى مع الفوائد لغاية السنة الجارية. ثانياً ٩٤٣ جنيها مصريا الباقى من سلفة الشيخ على يوسف وقدرها ٢٠٠٠ جنيه التى عقدها فى الخاصة مع الفوائد، فتكون الجملة ٣٥٧٦ جنيهاً مصرياً (١) وقد سبق أن سلمت مذكرة لحضرة الأستاذ أحمد بك لطفى فعرضها على الجناب العالى الذى أمره أن يبلغنى رد سموه بأنه سيأمر بدفع مطلوباتى بعد زمن قليل. هذا وتفضلوا بقبول شكرى على وساطتكم، وأننى متوسم حل هذه المسألة على يديكم »

شفيق

وقد توجهت لمكتب حسن بك صبرى يوم ١١ فبراير وتركت له هذا الخطاب.

وفى يوم ١٣ زرت عبدالحميد باشا سليمان وكيل وزارة الأشغال، فوجدت عنده حسن بك صبرى الذى أخبرنى بأنه تسلم خطابى، وأنه وجده فى تحريره ومحتوياته جيداً جداً، وأنه سيرسله مشفوعاً بتعضيد منه. قال : «وربما سافرت اليه بعد أسبوعين أو ثلاثة لأنهى المسألة » فشكرته. وقد سافر بعد ذلك. وبعد عودته أخبرنى أن عباساً تسلم مذكرتى وقرأها ثم لم يعطه جواباً

أما ما تم فى المسألة بعد هذا فسيجده القارىء فى ملحق بمذكرات العام الآتى

---

(١) ولم أرغب فى ضم المطلوبات الأخرى حتى أصل إلى تسوية هذين المبلغين أولا